الغزاة

محمود سالم

الغزاة

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الغزاة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٣ ٢٨٠١ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
أطباق طائرة ... وأساطير!	١١
غزو ... من الفضاء!	١٧
في أقصى الشمال ... حيث لا شَمال!	٢١
الطبيعة ... تفرض قانونها!	٢٧
معركة ... مع دبٍّ «النانوك»!	٣٣
عاصفة ... وموت!	٣٩
وجهًا لوجه ... مع الأطباق الطائرة!	٤٥

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

أطباق طائرة ... وأساطير!

دخل الشياطين قاعة الاجتماع على مهلٍ؛ فأمرُ الاستدعاء الذي جاء إليهم من رقم «صفر» لم يكن مُلِحًّا أو عاجلًا. وجلسوا في أماكنهم المعتادة وهم يتساءلون: تُرى لماذا كان استدعاؤهم؟ هل لمناقشة عاديةٍ، أم إنَّ هناك مغامرةً في الطريق؟

انبعثت موسيقى هادئة من أحد الأركان، وأظلمت القاعة تدريجيًّا، وأُضيئَتْ شاشة السينما الصغيرة، وبدا واضحًا أنَّ هناك فيلمًا سيُعرَض على الشياطين.

وظهرت نقاط صغيرة بعيدة فوق الشاشة، أخذت تقترب وتتسع وتتضح معالمها تدريجيًّا، كانت عبارة عن المجموعة الشمسية، الشمس وكواكبها التسعة التي تدور حولها.

وتبادل الشياطين النظرات في صمتٍ، تُرى هل ستكون مهمتهم القادمة في الفضاء الخارجي كما حدث في «مغامرة في الفضاء» التي قاموا بها منذ وقت قريب؟

وجاء صوت رقم «صفر» يقول: مرحبًا بكم، أنتم لا شك تتساءلون عن طبيعة مهمتكم القادمة، وهي مغامرة فضائية كما توقعتم، ولكنَّها ستدور على الأرض.

واندهش الشياطين الـ «١٣» بعد سماع حديث رقم «صفر» ... مغامرةٌ فضائيةٌ على الأرض، كيف؟ فجأةً تغيرت الصورة على الشاشة، وبدأ عرض بعض المشاهد من أفلام الخيال العلمي الشهيرة «حرب الكواكب» ... «كوكب القرود» ... «الخلية الرابعة» ... «آي تي» ... وغيرها من الأفلام العلمية الخيالية الشهيرة، وامتلأت صفحة شاشة السينما بمناظر كثيرة عن مخلوقاتٍ غريبةٍ ... ومدنٍ فضائيةٍ ... وأطباقٍ طائرةٍ ... وأسلحةٍ رهيبةٍ ...

قال رقم «صفر»: إنَّ مهمتكم تتعلَّق بشيءٍ يسيرٍ مما ترونه الآن، وعلى وجه التحديد بالأطباق الطائرة.

وبدأت الشاشة تعكس صورة لطبقٍ طائرٍ كبيرٍ، تتألَّق منه أضواء مبهرة، وهو يندفع في الفضاء السحيق بسرعة هائلة.

– أنتم تعرفون — ولا شك — أنَّ كوكبنا الأرضي ليس إلا ذَرَّة رمل في صحراءَ شاسعةٍ في هذا الكون، فهناك آلاف الملايين من الكواكب والنجوم في الكون، وإذا كان قد ثَبت — حتى الآن بدلالة شبه قاطعة — عدم وجود حياة فوق أي كوكب في مجموعتنا الشمسية ما عدا الأرض، وهو ما توصَّلَتْ إليه مركبة الفضاء الأمريكية «فوياجر»، والتي عبَرَت المجموعة كلها، حتى وصلت إلى الكوكب «نبتون»، وأرسلَتْ ملايين الصور التي أثبتت استحالة وجود أي نوع من الحياة العاقلة أو غير العاقلة فوق هذه الكواكب ... إلا أنَّ هذا لا يعني أنَّ بقية الكون لا توجد به حياة عاقلة مثلما هو فوق الأرض، بل لعل هناك كائنات أشد ذكاء وتطوُّرًا من الإنسان آلاف المرات، في مكان ما، بكوكب ما، في ذلك الفضاء السحيق، الذي لم نستكشف منه شيئًا بعدُ.

وسادَتْ لحظاتٌ من الصمت، وسمع الشياطين صوت رقم «صفر» وهو يُقلِّب في أوراقٍ أمامه، ثم قال: إنَّ هناك ما يُثبت — بدلالة قوية — وجود كائنات عاقلة، بل وذكيَّة جدًّا زارَتِ الأرض منذ آلاف السنين، فقد أصدرَ العلماء الأمريكان والروس عام ١٩٥٨م بيانًا مشتركًا يؤكدون فيه أنَّ أهل الإسكيمو الذين يعيشون في أصقاع القطب الشمالي قد هاجروا من الجنوب في المناطق الدافئة إلى الشمال، حيث الجليد والصقيع. وإن كان سبب الهجرة وطرقها غير معروفة على الإطلاق، غير أنَّ هناك بعض الأغنيات الشعبية للإسكيمو تقول: إنَّ هناك طيورًا ضخمة مصنوعة من الحديد والزجاج، حملت هذه القبائل إلى الشمال، ثم أنزلتهم هناك، وأقامت لهم البيوت، وتركَتْ لهم الطعام واختفَتْ بعدها في الفضاء، وبالطبع فإنَّ هذه الطيور الحديدية ليست إلَّا طائرات أو أطباق طائرة، وهذه الهجرة الجماعية لشعب الإسكيمو حدثَتْ منذ آلاف السنين، في وقت لم يكن الإنسان قد اكتشف حتى كيف يصنع حَرْبةً من المعدن الخالص، للدفاع عن نفسه ضد أعدائه من الوحوش.

وصمت لحظةً ثم أضاف: وفي التراث الهندي، ومنذ آلاف السنين، فإنَّ هناك كتاب اسمه «مغامرات الأمير رامايا»، يتحدث فيه عن الصواريخ والطائرات والأطباق الطائرة، وهناك في جزيرة تُسمى «جزيرة الفصح» في المحيط الأطلنطي، أهلها بدائيون يعيشون على صيد الأسماك، وليست لهم أية وسيلة للاتصال بالعالم، ولكن هناك أيضًا، وفوق الجزيرة، تماثيل هائلة منحوتة من الصخور البركانية على شكل وجوه بشرية هائلة الحجم، وكلها تطل إلى الشمال، باتجاه أهرامات الجيزة، والأكثر إثارة أنَّ هذه التماثيل فوقها نقوش فرعونية تقول إنَّ هناك بيضةً ذهبيةً نزلَتْ من السماء فوق الجزيرة، وخرج منها أناسٌ طوال الأجسام، عراض المنكبَينِ، وبالطبع فإنَّ هذه البيضة الذهبية ليس مقصودًا بها غير

الأطباق الطائرة التي تتخذ نفس الشكل البيضاوي ... بل وحتى في كتاب الموتى الفرعوني، فهناك نصوصٌ تتحدث عن نفس البيضة الذهبية، أو الأطباق الطائرة ... هذا الكتاب تم وضعه منذ آلاف السنين، وهذا يقطع، بل ويؤكد أنَّ هناك زوارًا من العالم الفضائي قد جاءوا يومًا ما، وحطُّوا فوق كوكبنا الأرضي منذ آلاف السنين ... والآن ... وفي عالمنا المعاصر، ستجد استمرارًا لنفس ذلك السيناريو، سيناريو غزو الأطباق الطائرة لكوكبنا الأرض.

وساد صمتٌ عميقٌ مع سكوتِ رقم «صفر»، وعادت الشاشة السينمائية تعرض أشكالًا لأطباق طائرة، وصورًا مهمة لأشياء تسبح في الفضاء ... قال رقم «صفر»: إنَّ أول رؤية لأطباق طائرة في عصرنا الحالي كانت في شهر يونيو عام ١٩٤٧م فوق ولاية «واشنطن» الأمريكية، فقد كان أحد رجال الأعمال يطير بطائرته الخاصة، فشاهد تسعةَ أجسام طائرة على شكل أطباق تسير في ترتيب واحد، وصفه بأنَّه يُشبه حبات المسبحة، ثم راحت تلك الأطباق تتعرَّج في طيرانها، وتعلو وتهبط بسرعة فائقة، كأنها تقوم بألعاب بهلوانية، ثم انطلقت إلى الفضاء الخارجي، واختفَتْ عن الأنظار بسرعة تزيد عن ألفَيْ كيلومتر في الساعة ... حدث هذا وفي زمن لم تكن الطائرات العادية وقتها قد وصلت سرعتها إلى ثلث هذه السرعة ... وفي عام ١٩٦٣م شاهد رجلُ أعمال آخَر وهو يقود سيارته طبقًا طائرًا عملاقًا يهبط في حقل قريب، ويطلق وهجًا برتقاليًّا يكاد يُعمي الأبصار، وفجأةً توقَّفَتِ السيارة، وصمت مذياعُها بطريقة غريبة، ولم يعودا إلى العمل إلا بعد انطلاق الطبق الطائر إلى الفضاء وابتعاده ... وفي عام ١٩٧٦م عَثرَتْ طائرتان إيرانيتان على طبق طائر في الفضاء، فأسرعتا لمطاردته من باب المغامرة، ولكنَّه حلَّق بعيدًا عنهما، وأخذ يقوم ببعض الألعاب البهلوانية المعجزة، ثم انفصل عنه طبق طائر صغير، هبط منه مخلوقان فضائيان غيرُ مُحدَّدَيِ الملامح، وتفحصا الأرض التي هبطا عليها، ثم عادا إلى طبقهما واختفيا في الفضاء ... وفيما بعد تم فحص الرقعة التي هبط فوقها الطبق الطائر الصغير، فوُجِدَ أنَّ التراب في ذلك المكان تحوَّل إلى صخر صلب، بسبب الضغط الهائل فوقه، الناجم عن هبوط الطبق الطائر.

وقلَّب رقم «صفر» بضعة أوراق أمامه، ثم قال: وهناك رواية أخرى مؤكدة عن ظهور طبق طائر فوق إحدى قواعد حلف شمال الأطلنطي عام ١٩٧٦م أيضًا. وعلى الفور تم قصف الطبق الطائر بالصواريخ ... ولكنَّ الطبق الطائر أذاب الصواريخ ودمرها قبل أن تصل إليه بإشعاع أحمر خرج منه ... وفي عام ١٩٧٧م ظهر فوق إحدى المدن الروسيَّة جسم ضخم مفزع الشكل، يشبه قنديل البحر ... وكان له ذيل من الوهج يمتد خلفه

عشرات الكيلومترات، وظلَّ ذلك الجسم الضخم مُعلَّقًا في الفضاء مدة ساعات طويلة، فأمكن مشاهدته من مدن روسية أخرى، بل إنَّه تم رصده في «هلسنكي» عاصمة «فنلندا» بسبب أضوائه الباهرة ... والشهود في هذه الحادثة بالملايين ... غير أنَّ السلطات الروسيَّة التزمت الصمت التام تجاه هذه الحادثة ... وهناك حادثة شهيرة لظهور أطباق طائرة فوق «الكويت» و«دبي» عام ١٩٨١م ... وتكرر ظهور هذه الأطباق الطائرة على فترات متقاربة، وخاصة فوق حقول البترول ... وبالطبع فإنَّ الطائرة التي لاحقتها لم تستطع الوصول إليها أو استكشاف حقيقتها.

وانطفأت الشاشة السينمائية، وأضاء النور القاعة ... وظهر رقم «صفر» في مكانه المظلم كأنَّما يتأهب ليقول شيئًا خطيرًا ... وتبادل الشياطين النظرات في صمت؛ فقد كانت الإثارة لديهم قد بلغت ذروتها، ولم يعرفوا إلى أين سينتهي حديث رقم «صفر» المثير.

قال رقم «صفر» بعد لحظةٍ: إنَّ هناك آلاف المشاهدات لأطباق طائرة، وهناك مئات المجلدات عن تلك الظاهرة لدى وزارة الدفاع الأمريكية، وهي مليئة بالشواهد المؤكدة عن ظهور الأطباق الطائرة، وإن كان من غير المسموح الإعلان عن هذه الشواهد ... غير أنَّه قد صدرت أوامر القيادة الأمريكية مؤخرًا بعدم التعرُّض لأي طبق طائر أو مهاجمته، فمَن يدري ماذا ستكون مغبة رد الفعل لدى هذه الأطباق الطائرة؟ فقد ترد على الهجوم بسلاح يدمِّر الأرض ... إنَّ ظهور الأطباق الطائرة استمر ولوقت طويل ظهورًا سِلْميًّا، أشبه باستعراض العضلات أو استكشاف الموقف من جانبهما، فهذه الأطباق الطائرة كانت تتجنَّب الاقتراب من البشر والتعامل معهم، غير أنَّ هذا الأمر تغيَّر منذ وقت؛ ففي أواخر يناير عام ١٩٧٨م كان أحد الطيارِينَ الشبان يقود طائرة صغيرة قرب الشاطئ الأسترالي، وأثناء حديثه مع برج المراقبة في مطار «ملبورن» فجأةً أخذ يصرخ وهو يصف طبقًا طائرًا يرافق طائرته من أعلى، وعندما انطلقَتِ المقاتلات الأسترالية لاستكشاف الأمر لم تعثر للطبق الطائر على أثر، ولا على الطيار الشَّاب ... وفي عام ١٩٨٠م ذهب أحد عمال المناجم البولنديِّينَ لشراء بعض الفحم من مخزن قريب، وتم اختطافه بواسطة مخلوقات فضائية، احتجزته لديها خمسة أيام، ثم أطلقَتْ سراحه بعد أن صار جثةً هامدةً مليئةً بالحروق الناتجة عن أحماض غير أرضية، وغير معروف تركيباتها ... وهناك العديد من أمثال هذه الحوادث، وإن كانت السلطات تتكتم أمرها حتى لا تثير البلبلة في أوساط الناس.

تساءل عثمان: وهل تأكَّدَتْ هذه السلطات من أنَّ هذه الحوادث الدموية بسبب مخلوقات جاءت في أطباق طائرة من كواكب أخرى؟

أجاب رقم «صفر»: هذا صحيح تمامًا، ففي مثل هذه الأمور تكون هناك شواهد عديدة مثل: رؤية الكثيرين لذلك الطبق الطائر ... وتكون هناك آثار هبوطه فوق الأرض، وآثار تشويشه على الأجهزة الكهربائية وإيقافها عن العمل بموجات مغناطيسية قوية ... وأخيرًا هناك الآثار التي تترك فوق الضحية، ويثبت أنها غير بشرية، استُخدِمَتْ فيها أسلحةٌ غير معروفة فوق كوكبنا ... وهناك الكثيرون من سعداء الحظ الذين أمسكت بهم هذه المخلوقات الفضائية، وقامت بإجراء بعض التجارب عليهم دون أن تقتلهم، وقد جرى فيما بعد استجواب هؤلاء الأشخاص تحت تأثير التنويم المغناطيسي، بحيث يستحيل عليهم الكذب، وتم اكتشاف أن ما تعرَّضوا له من فحوص وتعذيبٍ كان حقيقةً على أيدي مخلوقات فضائية.

إلهام: هذا مذهل!

رقم «صفر»: بالفعل، ولا بد أنَّ ما ستسمعونه الآن سيثير ذهولكم أكثر؛ فإنَّه وحتى وقتٍ قريبٍ كانت حوادث الاعتداء من جانب هذه الأطباق الطائرة تتم في نطاق فردي ضيِّق، وفي فترات وأماكن متباعدة، ولكنَّ الأمر تطوَّرَ بصورة خطيرة جدًّا خلال الأسابيع القليلة الماضية. إنَّ ما يحدث الآن ليس له غير معنى واحد: إنَّ هناك غزوًا فضائيًّا قريبًا سيحدث لسكان الأرض.

تبادل الشياطين النظرات الحائرة، وقال «أحمد»: ولكننا لم نسمع عن مثل تلك الأشياء.

رقم «صفر»: ذلك لأنَّها تدخل في نطاق السِّرِّية التَّامة؛ فالكشف عنه يعني إصابة العالم كله بفزعٍ لا حدَّ له، ويكفي لأنْ تدركوا خطورة ذلك الغزو الفضائي أن تعرفوا أنَّه حتى الآن جرَتْ ثلاث مواجهات بين القوات الأرضية وبين تلك الأطباق الطائرة، أولًا: مع سلاح الجو الأمريكي الذي دُمرت له طائرتان «إف ١٦»، وهي أحدث طائرات مقاتلة في العالم، والمواجهة الثانية مع سلاح الجو الروسي، ودُمِّرَتْ فيه طائرتان «ميج» من أحدث المقاتلات، وحتى سلاح الجو البريطاني دُمِّرَت له طائرة حاولَتْ مطاردة تلك الأطباق الطائرة.

والتقط رقم «صفر» أنفاسه لحظةً، ثم قال: إنَّ هذا يُثبت أنَّ الحرب قد بدأت، وأنَّ النتيجة ليست في صالحنا على الإطلاق، هذا ما اعترفَتْ به القوى العظمى.

وبصوتٍ رهيبٍ أضاف: لم يعُد لدينا أمل غيركم أنتم، إنَّ مستقبل الأرض كله بين أيديكم.

غزو ... من الفضاء!

تصاعدت أنفاس الشياطين؛ فالاجتماع الذي بدأ باستدعاءٍ غيرِ عاجلٍ، والمهمة التي بدت كأنها نوع من الخيال العلمي قد تحوَّلَتْ إلى كابوس تنوء به الأرض، ويُهدِّد مستقبلها البَشري وحضارة آلاف السنين، والشيء الذي عجزَتْ عن مواجهته أقوى دول العالم صار على الشياطين أنْ يواجهوه بأنفسهم.

مرَّتْ لحظاتٌ من الصمت والهدوء كأنَّما يتيح رقم «صفر» للشياطين مزيدًا من التفكير، وأخيرًا قال لهم: إنَّ أوَّل ظهور لتلك الأطباق الطائرة العدوانية كان منذ ستة أسابيع، وحدث هذا عندما حلَّق طبق طائر فوق إحدى حاملات الطائرات الأمريكية في المحيط الأطلنطي، ثم انطلق في الفضاء بسرعة، ولم تلحق به أيَّةٌ من الطائرات المُطارِدة ... وبعدها بيومَينِ تعرَّضَتْ قاعدةٌ صاروخية أمريكية للهجوم من الطبق الطائر، فدمَّرَ جزءًا منها بإشعاعٍ رهيبٍ، وعندما طاردَتْ طائرتان أمريكيتان الطبق الطائر وأطلقتا عليه الصواريخ، استطاع الطبق الطائر إذابتهما وتفجيرهما قبل أن يصلا إليه، ثم أطلق إشعاعه القاتل نحو الطائرتَينِ ونسفهما، ونفس الشيء حدث عندما هاجم سربٌ من الأطباق الطائرة حاملةَ طائرات روسية في عُرْض المحيط الهندي، وأطلقوا عليها إشعاعهم القاتل، فاشتعلَتْ حاملةُ الطائرات، وأوشكَتْ على الغرق لولا أن هبَّت سفنٌ كانت بالقرب منها لإنقاذها، وحدث أثناء عبور إحدى الطائرات المقاتلة الإنجليزية لبحر المانش أن صادفت طبقًا طائرًا، فانطلقَتْ لمهاجمته، وبادرته بالهجوم بالصواريخ، فأخذ الطبق الطائر يتلاعب بالطائرة قليلًا قبل أن يوجه إشعاعه القاتل إليها وينسفها.

قال «عثمان» مذهولًا: إنَّه شيء أقرب إلى الخيال!

رقم «صفر»: إنَّ الأمر لم يقتصر على ذلك فقط، ويبدو أنَّ هذه الأطباق الطائرة عندما تأكدت من قدرتها الفائقة في صدِّ أيِّ هجوم عليها، انطلقَتْ في اتجاه آخَر، فسقطَتْ على

بعض القنابل الذرية في قاعدة فرنسية، وهذه القواعد كما تعرفون أشبه بالأماكن المُحصَّنة التي يستحيل اقتحامها أو الوصول إليها، ولكنَّ الطبق الطائر قام باقتحام وإطلاق سيل من إشعاعه على أجهزة الدفاع قبل أن يختطفَ القنابل الذرية ويختفي بها في الفضاء.

بوعمير: ولكن ما الذي ستفعله الأطباق الطائرة بهذه القنابل؟

رقم «صفر»: هذا ما لا يعرفه أحدٌ حتى الآن، ومَن يدري؟ قد تُوجِّه هذه القنابل إلى الأرض مرة أخرى، ولكن لتدميرها.

ساد صمتٌ قاتل، وأكمل رقم «صفر»: بعد قليل سُرِقَتْ شحنة راديوم كانت تَعْبُر المحيط في رحلة سرِّية إلى أمريكا ... والراديوم هو العنصر المُستعمَل في صناعة القنابل الذرية كما تعلمون ... وقد هاجمَتِ الأطباقُ الطائرة السفينةَ، واستولَتْ على ما فيها من راديوم قبل أن تُغرِقها في المحيط.

أحمد: ولكن كيف عرفتم أنَّ الأطباق الطائرة هي التي هاجمت السفينة وأغرقتها، ما دام أن أحدًا لم ينجُ منها؟

رقم «صفر»: إنَّ إشارات الاستغاثة التي أطلقتها السفينة أفادت أنَّ أطباقًا طائرة تهاجمها، وعند وصول أقرب السفن إليها لم تجد غير كمية طافية من الأخشاب، بعد غرق سفينة الراديوم ... ولم يكن هناك ناجون على الإطلاق، وبعد أيامٍ قليلةٍ تم اختطاف عالم الذَّرَّة الهندي «راجا موهاري» من فيلَّته الواقعة على شواطئ مدينة «بومباي»، ولم يَعثُرْ له أحدٌ على أثر حتى الآن.

إلهام: وهل كانت الأطباق الطائرة هي التي اختطفته؟

أجاب رقم «صفر»: هذا صحيحٌ تمامًا؛ فقد شُوهِدَتْ وهي تحلِّق فوق منزله قبل اختطافه، وعندما أسرع رجال الحراسة محاوِلِينَ إنقاذه ماتوا جميعًا بالأشعة الحارقة، وحتى الآن لم يَعِشْ أيُّ شخص شاهد تلك الأطباق الطائرة أو حاول اعتراضها.

قال «أحمد» مقطبًا: ولكن هذا أمر عجيب جدًّا، من الواضح أنَّ مخلوقات هذه الأطباق الطائرة على درجةٍ عاليةٍ من التقدُّم العلمي، ولديهم أسلحتهم الخاصة الرهيبة، فلماذا يختطفون قنابلَ ذرية، وموادَّ مُشِعَّة، وعالِمَ ذَرَّة «هندي»؟

رقم «صفر»: هذا هو السؤال الذي لا يعرف أحد إجابته ... والأكثر غرابةً هو أنَّ تلك الأطباق الطائرة هاجمت بنكًا سويسريًّا، واستولَتْ على عشرة أطنان من الذهب الخالص.

قيس: هذا مدهش! وماذا سيفعلون بالذهب أيضًا؟

– من يدري؟! إنَّ سيناريو الأحداث بأكمله يبدو لغزًا غامضًا عجيبًا لم نستطع تفسيره حتى الآن، فما الذي تريده هذه الأطباق الطائرة؟ ومن أين أتوا؟ وما هو هدفهم

النهائي؟ هذه كلها أسئلةٌ بلا إجابة حتى الآن، وآخِر المعلومات التي وصلتنا تقول: إنَّ القوى العظمى قد اتفقَتْ سرًّا فيما بينها على عدم الهجوم على هذه الأطباق الطائرة في حالة ظهورها في أي مكان، فمَنْ يدري، فقد يدفع ذلك الهجوم هذه الأطباقَ إلى الرد بصورة عنيفة قد تدمِّر الأرض، خاصة وقد صار في حوزتها عددًا من القنابل الذرية التي تكفي لدمار الأرض وفناء جنسنا البشري.

هدى: ولكن كيف لم يتم رصد هذه الأطباق الطائرة قبل ظهورها؟ ولماذا يكون ظهورها مفاجئًا دائمًا بحيث لا يتاح لَمن تهاجمه الدفاع عن نفسه؟

رقم «صفر»: ذلك لأنَّ هذه الأطباق الطائرة لا يتم رصدها بالرادار ... ولا بد أنَّ جسمها المعدني مُغطًّى بمادة تمتص ذبذبات الرادار ولا تعيدها للأرض مرة أخرى، وبذلك لا تستطيع أجهزة الرادار رصدها، ولا يمكن مشاهدة هذه الأطباق الطائرة إلا بالعين المُجرَّدة؛ مما يعطيها ميزة هائلة في حرية طيرانها وهجومها المفاجئ.

أحمد: إنَّ هذا يذكرني بالطائرة الأمريكية «الشبح» التي لا يمكن رصدها بالرادار، وإن كانت لا تزال في طور التجارب.

رقم «صفر»: من الواضح أنَّ هذه المخلوقات متقدمةٌ عنا بكثير، وأنَّ المواجهة معها لن تكون في صالحنا أبدًا، ومن هنا كان قرارنا بأن يتولى الشياطين الأمرَ بأنفسهم، فإذا كان استعمال السلاح ممنوعًا هذه المرة، فإنَّ لديكم عقولكم وذكاءكم، وهما أقوى من أيِّ سلاحٍ ... إنَّ مهمتكم القادمة هي استكشاف هذه الأطباق الطائرة ومعرفة من أيِّ كوكب جاءت؟ وما الذي يهدف إليه أصحابها؟ وهل ينوون شنَّ حرب مدمِّرة على الأرض؟ ولماذا أخذوا القنابل الذرية والراديوم والعالِم «الهندي»؟ إنَّ هذه كلها أسئلة نرغب في الحصول على إجابتها؛ فقد تنير لنا طريقًا يكون فيه خلاصنا من هذه المخلوقات الفضائية وأطباقها الطائرة.

وصمتَ رقم «صفر» لحظةً، ثم أضاف: إنَّ هذه هي أخطر مهمة قد تقومون بها في حياتكم، وقد تكون مهمة بلا رجعة، فأنتم هذه المرة لا تواجهون عدوًّا بشريًّا، ولا عصابة مهما كانت خطورتها، بل إنَّ مهمتكم ضد مخلوقات فضائية شديدة الذكاء، وشديدة القسوة أيضًا. لقد اخترتُ ستة شياطين منكم لتلك المهمة، وسيبقى الباقون في وضع استعداد لتقديم المساعدة للمجموعة الأولى إذا احتاجَتْ لذلك.

والمجموعة المُكلَّفة بالمهمة ستتكون من «أحمد» و«عثمان» و«إلهام» و«ريما» و«مصباح» و«فهد»، وتذكروا أنَّ هذه المهمة ممنوع فيها استخدام الأسلحة من أي نوع،

فإذا تأزَّمَتِ الأمور تمامًا فتذكروا أنَّ مصير الأرض في أيديكم، وأنكم قد تدفعون حياتكم ثمنًا لذلك، مقابل إنقاذ خمسة آلاف مليون إنسان يعيشون فوق هذا الكوكب.

وساد صمتٌ قاتلٌ رهيبٌ، حتى كاد الشياطين يسمعون صوت أنفاسهم مثل قرع الطبول، وتأهب رقم «صفر» للانصراف، وتساءل «أحمد» بوجه خالٍ من المشاعر: ولكن من أين سنبدأ مهمتنا في البحث عن هذه الأطباق الطائرة؟

أجاب رقم «صفر»: إنَّ كل الشواهد تدل على أنَّ تلك الأطباق الطائرة تأتي دائمًا من الشمال وتعود إليه من أقصى الشمال، وبالتحديد في قمة العالم فوق القطب الشمالي.

تساءلت «إلهام» ذاهلةً: حيث يعيش «الإسكيمو»؟

وفي نفس اللحظة تذكَّر الشياطين تلك الأسطورة التي كانت تقول بأنَّ سكان «الإسكيمو» قد جاءوا من مكان ما في الجنوب، وسكنوا القطب الشمالي لسببٍ غير مفهوم، حيث حملتهم طيور معدنية منذ آلاف السنين، وهو الشيء الذي أثبت العلماء أنَّه حقيقة علمية وليس مجرد أسطورة ... وتبادل الشياطين الستة النظرات ذاهِلِينَ، هل كان ظهور الأطباق الطائرة من أقصى شمال العالم في القطب الشمالي منذ آلاف السنين مُجرَّد صدفة؟ أم إنَّ هناك علاقة مُؤكَّدة تمتد آلاف السنين للوراء؟

في أقصى الشمال ... حيث لا شَمال!

ألقى «أحمد» نظرةً من نافذة الطائرة الصغيرة الخاصة، إلى أسفل، إلى الأمام، وبامتداد البصر، فرأى هناك لوحةً بيضاء متشابهة المعالم، حيث لا شيء سوى الجليد والبرد والصقيع. بينما نظرَتْ «إلهام» في ساعتها وقالت: لقد أوشكنا على الوصول إلى نهاية حدود بلاد «الإسكيمو».

وابتسمت وهي تكمل: أرجو أن يبدو منظرنا مثل موظفي الأرصاد الجوية؛ فلم تكن هناك صفة يمكن أن نأتي بها إلى هذا المكان غير هذه الصفة.

أحمد: لا أظنُّ أنَّ الأهالي هنا فضوليون بحيث سيسألوننا مَن نكون؟ وما الذي أتى بنا إلى هذا المكان؟

إلهام: هذا إذا صادفنا أي أناس، إنَّ هذه المنطقة الشاسعة يتناثر عليها عدد قليل من البشر، بحيث إنَّ كلًّا منهم له عشرات الكيلومترات يعيش فيها وحده مع أسرته القليلة العدد، وكلاب زَحَّافاته، ولا شيء آخَر غير الجليد والشتاء الدائم.

ضحك «أحمد» قائلًا: لقد نسيتِ أهم مخلوق في هذا المكان، الدُّب «نانوك» العملاق.

فكَّرَتْ «إلهام» قائلةً: ولكن لماذا أراد لنا رقم «صفر» أن نبدأَ مهمتنا من حدود «ألاسكا» باتجاه مركز القطب الشمالي؟ إنَّ هذا معناه أنْ نقطع آلاف الكيلومترات من الجليد بزَحَّافاتنا وسط البرد القارس.

أحمد: تذكَّري أنه ليس هناك أي مكان مُحدَّد لهذه الأطباق الطائرة، إنَّها هنا في هذا المكان الشاسع، ولكن أين؟ هذا هو ما جئنا لنستكشفه.

ومن خارج نوافذ الطائرة بدأَتِ السماء تُظلِم تدريجيًّا، ويختفي قُرصُ الشمس وراء الأفق، وكانت الساعة لا تزال تشير للثانية ظهرًا!

راقبَتْ «إلهام» غروب الشمس، وقالت: يا له من منظر فريد! الشمس تغرب في منتصف النهار.

أحمد: وبعد أيامٍ قليلةٍ لن تكون هناك شمسٌ، حيث يسود ظلامٌ تامٌّ لشهور عديدة عندما يحل الشتاء، أما في الصيف فإنَّ الشمس تكون في قلب السماء لمدة أربع وعشرين ساعة، ولشهور عديدة أيضًا.

إلهام: ترى هل ستمتد مهمتنا إلى أن نشاهد شروق الشمس الدائم؟

نظر «أحمد» إلى الأفق البعيد، وقال: مَن يدري ماذا سيحدث؟ «إن مَن يصل إلى القطب الشمالي فعليه ألَّا يفكر إلَّا في اللحظة التي تواجهه» كما قال الرائد الأمريكي «روبرت بيري» — أوَّل مَن وصل إلى القطب الشمالي عام ١٩٠٩م — لقد صادف من الأهوال ما جعله يكتفي بالتفكير في كيفية مواجهة الأخطار المحيطة به، ولم يفكر في الأخطار التي تواجهه فيما بعد.

وأخيرًا، بدأت الطائرة هبوطها، واستقرَّتْ فوق ممرٍّ صغيرٍ من الجليد المصقول اللامع كمرآة، وظهر على مسافة قريبة عددٌ قليل من البيوت الخشبية الصغيرة المتجاورة، والتي تُكوِّن معسكرًا صغيرًا فيما بينها، حيث يُعتبَر مركزًا تجاريًّا تُباع فيه المُعلَّبات الغذائية، والوقود، والبنادق، وطلقات الرَّصاص، ويحتوي فندقًا صغيرًا، ومدرسة لتعليم الأطفال.

وكان هناك مرشدٌ شاب من أهالي «الإسكيمو» في انتظار الشياطين، وكان يرتدي زي «الإسكيمو» التقليدي، وهو رداء «الباركا» السميك المُبطَّن بفراء الدببة، وحذاء مصنوع من جلد سبع البحر، وتقدَّمَ الشَّاب مرحِّبًا بالشياطين (بالإنجليزية) قائلًا: أهلًا بكم في البلاد الباردة التي لا تُدفئها غير مشاعر سكانها.

تقدَّم الشياطين مصافِحِينَ الشَّاب الذي قدَّم نفسه لهم قائلًا: أنا «نانو»، وهو اسم مشتقٌّ من دُبِّ هذه البلاد المدعو «نانوك»، والاسم يدل على الشجاعة كما ترون، فإنني أفضلُ دليل في هذه البلاد.

ابتسم الشياطين، وتعاونوا مع «نانو» في حمل معداتهم وأشيائهم التي كانت تُضفي عليهم صفة علماء الأرصاد، وكانت هناك زَحَّافةٌ صغيرةٌ يجرها ثمانية كلاب من صنف «الهسكي» التي تمتاز بقدرتها على الجَرِّ والتحمُّل لمسافات طويلة، ووضع الشياطين أشياءهم فوق الزَّحَّافة التي قادها «نانو» إلى أحد المباني الخشبية ... وفي الداخل احتسوا شرابًا ساخنًا، وأحسُّوا بشيء من الدِّفْء لأول مرة.

قالت «ريما» وهي تفرك يديها: إنَّ الجو هنا قارسُ البرودة.

احتجَّ «نانو» قائلًا: مَن قال ذلك؟ بل إنَّ الجو حارٌّ جدًّا؛ فالحرارة لا تزيد على ثلاثين درجةً تحت الصفر.

ضحك «عثمان» قائلًا: معك حق يا «نانو»، إنَّ الشتاء الذي تتناقص فيه درجة الحرارة إلى ثمانين درجة تحت الصفر لا بدَّ وأن يكون حارًّا عندما تكون درجة الحرارة ثلاثين تحت الصفر.

تساءل «نانو»: متى ستبدءون رحلتكم؟

ترامق الشياطين، وقال «أحمد»: إنَّنا نُفضِّل أن نبدأ بالسفر غدًا صباحًا حتى نحصل على قسط أكبر من الراحةِ بعد ذلك السفر الطويل.

نانو: هذا أفضل، ويُوجد هنا ثلاث غرف محجوزة لكم، ولكنَّني لم أعرف حتى الآن الوجهة التي تريدون الذهاب إليها، إنَّني دليلكم، ويجب أن أعرف قبل أن أتحرك من هنا إلى أين نحن ذاهبون.

أحمد: سوف نتجه نحو الشمال.

نانو: ولكنَّنا في الشمال الآن، إنَّ كل ما يحيط بنا هو شمال، نحن في قِمة العالم، وهذه المنطقة بأكملها لا يوجد فيها جنوب أو شرق أو غرب، لا يوجد غير الشمال فقط.

عثمان: إنَّنا نعرف ذلك بالطبع، ولكن ما قصدناه أنَّنا سنرحل في اتجاه مركز القطب الشمالي، أي منتصف القطب الشمالي.

نظر «نانو» إلى الشياطين في صمتٍ، وظهر شيء من القلق على وجهه، وبعد قليل قال: ولكن هذه رحلة خَطِرة، خَطِرة جدًّا، وستتطلب منَّا السفر لأسابيع عديدة، وسنواجه مخاطرَ لا نهاية لها.

أحمد: سوف نضاعف أجرك.

نانو: ليست المسألة نقودًا؛ فإنَّ بطن المرء لا تمتلئ بأكثر من حجمها — كما تقول أمْثَالُنا — إنَّنا خلال هذه المسافة لن نجد أية مساعدة إذا ما طرأَتْ أيةُ مشكلة تواجهنا، مثل المرض أو ... أو الإصابة ...

إلهام: فلنترك ذلك للظروف، ولا داعيَ لأن نسبق الأحداث.

تساءل «نانو»: ولكنَّني لم أعرف مهمتكم بالضبط، لقد أخبرني مَن استأجرني أنَّكم مجموعة من علماء الأرصاد، ولكن هناك العشرات من رجال ووحدات الأرصاد في القطب الشمالي، فلماذا جئتم أنتم؟ ولماذا لا تتجهون إلى إحدى هذه الوحدات؟

ترامق الشياطين، وقال «أحمد»: إنَّنا في مهمة خاصة، وهذه المهمة تستدعي القيام ببعض التجارب خلال رحلتنا الطويلة، وهي مهمة متعلِّقة بتأثير تناقص طبقة الأوزون

على الطقس المناخي للقطب ... وهي مهمة سرِّية جدًّا؛ لأنَّ النتائج التي قد نتوصل إليها ستكون على درجة عالية من الخطورة، وربما تثير الفزع في أوساط العالم؛ لأنَّنا نعتقد أن تناقص طبقة الأوزون في الغلاف الجوي يسمح بنفاذ مزيد من أشعة الشمس إلى الأرض، وبالتالي ذوبان أكثر جليدِ هذه المنطقة، وهذا معناه على المدى الطويل فيضانٌ يكتسحُ العالم من القُطبَينِ، وهذه الأشياء العلمية لا نريد إعلانها الآن قبل الوثوق من نتائجها؛ وإلَّا أصابَ العالَمَ كلَّهُ الفزعُ من احتمال إغراقه، هل فهمْتَ الآن سبب سرِّية مهمتنا؟

نانو: لقد فهمتُ، وأعدكم أن أحتفظ بالسِّرِّ، سأذهب الآن وأعود غدًا صباحًا.

وغادر «نانو» المكان، وتناول الشياطين عشاءهم برغم أنَّ الساعة كانت لا تزال الرابعة ظهرًا، ولكنَّ السماء المظلمة في الخارج جعلتهم يُطلِقون على طعامهم عشاء لا غداء.

وعلَّق «عثمان» ضاحكًا: بعد قليلٍ ستنقلب وجباتنا إلى عشاء مستمر.

قال «فهد» باسمًا: مَن كان يسمع «أحمد» وهو يشرح المهمة السِّرِّية التي جئنا لأجلها لـ «نانو»، يظنُّ أنَّ ما قاله صحيح.

أحمد: إنَّ ما قلته لـ «نانو» مشكلة حقيقية تواجه العالم، ويعكف العلماء على بحثها.

ريما: هل يمكننا أن نحاول أن نستفسر من سكان هذا المكان، ونسألهم عن تلك الأطباق الطائرة؟

أجاب «أحمد» بسرعة: لا يا «ريما»، إننا لا نريد أن نلفت الأنظار إلينا، فمَن يدري؟ قد تكون هناك عيون لهؤلاء الفضائيِّينَ فيكتشفون حقيقة مهمتنا بسبب نوعية أسئلتنا، ونحن هنا بلا سلاح ولا نريد مواجهة غير متكافئة في بداية مهمتنا.

مصباح: ألهذا رفض رقم «صفر» أن نستعين بجهاز لا سلكي للاتصال به أو الاتصال ببعضنا؟

أحمد: إنَّ رقم «صفر» على حقٍ؛ فلا بدَّ أنَّ مثل تلك الرسائل ستلتقطها أجهزة الأطباق الطائرة، وتعرف محتواها مهما كانت نوعية شفرتها وسريتها ... إننا نواجه كائنات لا حدود لذكائها وتقدُّمها العلمي، وعلينا أن نحترس أشد الاحتراس. إننا لا نملك هنا غير خرائطنا، وبعض الأجهزة العلمية والأدوات الدقيقة التي يمكن أن تتحول إلى قنابل موقوتة، وإن كانت تعليمات رقم «صفر» تحذرنا من استعمالها حتى لو كان في ذلك نجاتنا نحن، إن الشرط الوحيد لاستعمالها إذا كان في ذلك إنقاذ للكرة الأرضية من هؤلاء الغزاة.

وساد صمتٌ بعد كلمات «أحمد»، وأنهى الشياطين عشاءهم في هدوء، واتجه «عثمان» و«مصباح» و«فهد» إلى إحدى الحجرات المحجوزة لهم، واتجهَتْ «ريما» إلى الحجرة الثانية؛ ليحصلوا على أكبر قسط من الراحة، بينما ظل «أحمد» و«إلهام» على المائدة.

بعد قليل قام «أحمد» وهو يقول لـ «إلهام»: إنني لا أحسُّ برغبة في النوم سأذهب لأتجول قليلًا حول المعسكر.

إلهام: سآتي معك، فأنا أيضًا لن أذهب إلى حجرتي للنوم الآن.

وسار الاثنان إلى الخارج، وكانت السماء مظلمة، وليست هناك غير بعض النجوم اللامعة في السماء، كأنَّها مصابيح مضيئة في لوحة حالكة السواد، ورمقَتْ «إلهام» النجوم البعيدة وهي تتساءل بين نفسها: تُرى هل هناك كائنات عاقلة في أيٍّ من هذه الكواكب والنجوم؟ وهل جاء أصحاب الأطباق الطائرة من إحداها؟

وصاح «أحمد» في «إلهام»: حاذري يا «إلهام».

والتفتت «إلهام» على صياح «أحمد» فشاهدت ذئبًا كبيرًا، ذا لون أصفر، وهو يقفز باتجاهها مُكَشِّرًا عن أنيابه، وأسرعت «إلهام» تحمي وجهها بيدَيْها، في نفس الوقت الذي كاد الذئب أن ينشب مخالبه في وجهها، ولكنَّ ضربةً مُحكَمةً بقطعة جليد من «أحمد» أصابَتِ الذئب في وجهه، فسقط بعيدًا وهو يعوي، ثم انطلق هاربًا.

وتنفَّسَتْ «إلهام» الصُّعَدَاء، وأسرع «أحمد» إليها ليطمئن عليها، فقالت باسمةً: إنني بخير، يا له من ذئب جريء!

أحمد: هذا الذئب يُطلَق عليه ذئب المنطقة المتجمدة الشمالية، وهو مشهورٌ بجسارته لدرجة أنَّه قد يهاجم الدُّب القطبي الرهيب «نانوك» إذا عضَّهُ الجوعُ، وهو يستطيع أن يحمل بين أسنانه فريسةً تزيد عن حجمه، ويعدو بها بأقصى سرعة.

إلهام: كنت أظنُّ أنَّ الجليد والصقيع هما الخطر الوحيد هنا، ولكن يبدو أنَّ هناك أخطارًا أخرى.

أحمد: علينا أن نكون حَذِرِينَ تمامًا، إنَّ وجودنا هنا يتطلب منَّا أن نحارب الطبيعة أولًا، وقبل أي شيء آخَر.

وبدأ الجو يُزمجر حولهما، وتحرَّكَتْ رياحٌ قارسةُ البرودة، وهي تحمل كراتٍ من الجليد، أخذت تُلقيها بعنف في كل اتجاه، وغطَّتْ «إلهام» وجهها لتقيه من كرات الجليد المتدافعة، وقالت لـ «أحمد»: هيا بنا نعود إلى المعسكر.

وسار الاثنان بنشاط، والعاصفة الثلجية قد بدأت حولهما، وامتلأ المكان بكرات الثلج التي غطَّت وجه السماء.

وقبل أن يدخل «أحمد» و«إلهام» إلى المبنى الخشبي، استوقفهما بعضُ الأطفال الصغار الذين كانوا يلعبون بجوار المعسكر في أَرْدِيَتهم الثقيلة، غير عابئِينَ بالثلج

والعاصفة، وكان الصغار يُغنُّون بالإنجليزية أغنيةً ذات إيقاع بطيء، في كلمات متعثرة، وكانت كلمات الأغنية تقول: إنَّ الأجداد الذين أتوا بالطيور الحديدية منذ آلاف السنين ... قد عادوا مرةً ثانية في بيضة ذهبية؛ ليسكنوا وسط شعب «الإسكيمو».

تبادل «أحمد» و«إلهام» نظرةً ذاهلةً عميقةً.

الطبيعة ... تفرض قانونها!

في الصباح الباكر استيقظ الشياطين الستة نشيطِينَ، وتناولوا إفطارًا خفيفًا، ثم حملوا أشياءهم خارجًا.

وكانت هناك زَحَّافتان كبيرتان تجرُّ كلٌّ منها عشرة كلاب على شكل مروحة، ورصَّ الشياطين أشياءهم مُوزَّعة على الزَّحَّافتَينِ، ثم قسَّمُوا أنفسهم إلى مجموعتَينِ، «أحمد» و«إلهام» و«عثمان» في إحدى الزَّحَّافتَينِ، والأخرى بها بقية الشياطين و«نانو».

وألهب «نانو» كلاب زَحَّافته بسَوْط طويل معه؛ فاندفعَتِ الكلاب وهي تعوي، وتجر الزَّحَّافة بأقصى سرعتها، وخلفها الزَّحَّافة الثانية، وظهرَتْ على البُعد جبال هائلة من الجليد، تحت ضوء يسير، ظَهَرَ في الأفق مثل ضوء الفجر الذي صبغ السماء بلون فضي خافِت، بالرغم من أنَّ الساعة قد تجاوزت العاشرة صباحًا.

وقرابة الظهر، بدأ شروق الشمس، وظهرَتْ صفراءَ شاحبةً، كأنَّها ترتجف بردًا بدون أن تشع حرارة، وبعد أقل من ساعتَينِ بدأَتْ في الغروب، والعودة من حيثُ أتت بسرعة، كأنَّما أنهكَتْها رحلتها القصيرة.

وبدأَتِ الكلاب تُبطئ في عَدْوِها السريع، ولاحظَتْ «إلهام» ذلك في الزَّحَّافة الثانية، وقالت: لقد تعِبَتِ الكلاب، ويبدو أنَّها جاعت.

أحمد: لا تخْشِي شيئًا على هذه الكلاب؛ فباستطاعتها العَدْوُ لوقت طويل، ومَهْمَا كانت درجة جوعها، فهي لا تسقط على الأرض إعياءً إلَّا متى أوشكت على الهلاك.

إلهام: إنَّها كلاب عجيبة حقًّا! لقد لاحظتُ أنَّها لا تنبح، ولكنَّها تعوي فقط.

أحمد: هذا صحيح فهذه الكلاب من سلالة ذئب هذه المناطق، ولذلك فهي تعوي مثله، وإن كان يرجع إليها الفضل في بقاء سكان هذه المنطقة الباردة أحياء؛ فلولاها ما استطاعوا

التجوُّل لمسافات بعيدة أو الصيد ... إنَّ رجل «الإسكيمو» في هذه البلاد يُعامِل كلابه مثل أبنائه تمامًا.

وبعد قليل، أوقف «نانو» زَحَّافته، فتبعته الزَّحَّافة الثانية، وقال «نانو»: سنحصل على قليل من الراحة للكلاب، ثم نواصل مسيرتنا.

وكشف عن جزء في مؤخرة زَحَّافته، وكان يحتوي على اللحم المُجمَّد، ألقاه إلى كلابه فانقضَّتْ عليها تنهشها في توحُّش.

وراقب «نانو» كلابه، ثم قال: علينا أن نبحث عن طعامٍ وصيدٍ.

عثمان: ولكننا لسنا بحاجة للطعام، فإن لدينا الكثير من المُعلَّبات وشرائح اللحم و...

وفي تلك اللحظة وقعت عيناه على علبة عصير فاكهة، فتحَتْها «ريما»، وكان محتواها مُجمَّدًا، مثل الحجر، وقال «عثمان»: يبدو أنَّني نسيتُ طبيعة هذه المنطقة.

نانو: علينا منذ الآن أن نحصل على طعامنا أولًا بأول ... ليس هذا فقط، بل وعلى طعام الكلاب أيضًا، وإذا ما نقصَتْ مَئُونتنا فسوف نُطعم الكلاب أولًا، ثم نأكل بعدها.

ترامق الشياطين في صمت، كان «نانو» محقًّا في قوله؛ فإذا نفقَتِ الكلاب كان معنى ذلك موتهم أيضًا وسط الجليد اللانهائي.

وهمس «عثمان» لـ «أحمد»: لم يكن ينقصنا غير هذا أيضًا، أن نتحول إلى صيادِينَ بدائيِّينَ، إنَّنا حتى لا نملك بنادق صيد.

قال «أحمد» باسمًا: لماذا لا تحاول التمتُّع بالتجربة كما هي؟ فلنكن مثل الرواد الأوائل الذين جابوا هذه المناطق، وكان لهم فضل اكتشافها، ولا تنسَ أن «نانو» يمتلك بندقية.

وأخرج «نانو» بندقيته، وكانت من طراز قديم، فقال «عثمان» مُحتَجًّا: إنها تشبه البنادق التي كان يستخدمها «نابليون» في حروبه، وأظنُّ أنَّه قبل أنْ يقوم «نانو» بتعميرها وإطلاقها على الشيء الذي سيَصِيده، سيكون ذلك الشيء قد صار على مسافة مائة كيلومتر.

ابتسم «أحمد» ولم يعلِّق. وقال «نانو»: فلنحاول أن نصيد أحد ثيران المسك التي تعيش في هذا المكان.

وأشار إلى نقطة قريبة، وقال: هذه هي قطعانها، إنَّنا حسنوا الحظ لأنَّها قريبة، هيا بنا نقترب منها، ولكن حاذروا فهي خَطِرة جدًّا.

مصباح: وما الداعي للاقتراب منها ومعك هذه البندقية؛ إنها لا تبعد عنَّا أكثر من خمسمائة متر.

قاطعَهُ «نانو» قائلًا: إنَّك تظنُّ ذلك؛ إنَّ هذه الثيران تبعد عنا بما لا يقل عن عشرة كيلومترات، ولكنَّ السراب الثلجي يجعلك تظنُّ أنَّها قريبة جدًّا.

ترامق الشياطين في دهشة، كانت الثيران المتوحشة ذات القرنَينِ الكبيرَينِ والشَّعر الكثيف الحاد تبدو قريبة جدًّا، حتى إنَّ تفاصيلها كانت واضحة تمامًا للشياطين، في حين أنَّها كانت تبعد عشرة كيلومترات على الأقل.

قال «أحمد»: سآتي معك.

عثمان: وأنا كذلك.

تقدمهما «نانو» وهو يقول: حاذِرَا من إصدار أي صوت، وإلَّا هربَتِ الثيران؛ فإنَّ الصوت هنا ينتقل لمسافات طويلة، قد تصل إلى عشرين كيلومترًا، وبدرجة وضوح عالية جدًّا.

وأشار «نانو» إلى بقية الشياطين قائلًا: فلتحاولوا تهدئة الكلاب حتى لا تنبح، فتسمع أصواتَها ثيرانُ المسك وتهرب.

واندفع «نانو» وخلفه «أحمد» و«عثمان» وهما مُمسِكان بسِكِّينتَينِ طويلتَينِ، وأخذوا يقتربون ثلاثتهم في حذَر من قطعان الثيران.

وأخيرًا، صاروا على مدى قريب يسمح بإطلاق الرَّصاص، وصوَّب «نانو» بندقيته، وأطلقها نحو أقرب الثيران فسقط على الأرض، واندفعَتْ بقية الثيران هاربة بسبب صوت إطلاق الرَّصاص.

وصاح «نانو»: فلنسرع بجَرِّ الثور إلى الزَّحَّافتين قبل أن يتجمد إلى كتلة ثلجية.

واندفعوا ثلاثتهم نحو الثور، وأخرج «نانو» حزامًا عريضًا ربط به الثور، ثم اندفع يجره مع «أحمد» و«عثمان» باتجاه بقية الشياطين.

وفي مهارة وسرعة أخذ «نانو» يقوم بسلخ الثور، وإلقاء محتويات أمعائه وشعره إلى كلابه التي انقضَّتْ عليها، ولم تُبقِ منها شيئًا، أما اللحم فقام «نانو» بتقطيعه، وحشوه في لفائف عديدة من فرو جلد الذئب حتى لا يجمد، ولم يترك «نانو» شيئًا من الثور، وحتى قرنيه وضعهما في الزَّحَّافة وهو يقول: سوف يفيدا في شيء ما حتمًا.

وأحضرَتْ «إلهام» و«ريما» بعض الأخشاب التي وجدتاها نابتة هنا وهناك على هيئة شجيرات قصيرة، وأشعل «نانو» فيها النار، وقام بِشَيٍّ جزء من ثور المسك تناولوه جميعًا، وكان لحمه شهيًّا لذيذًا.

ومرةً أخرى، واصلوا سيرهم، وقد استعادت الكلاب نشاطها الفائق، وانهمك «نانو» في حلاقة ذقنه النابتة الصغيرة بسكينته الطويلة في براعة، بالرغم من اهتزاز الزَّحَّافة السريع، فقالت له «ريما» باسمةً: ألا يُمكن تأجيل الحلاقة إلى ما بعد توقُّفنا؛ فقد تجرح نفسك بالسكين الطويلة.

أجابها «نانو»: إنَّ رجل «الإسكيمو» الماهر يقوم بكل أعماله وهو فوق زحَّافته؛ فهو يقضي فيها أكثر مما يقضيه في بيته، هذا بالإضافة إلى أنَّه من الصعب بل من المستحيل أنَّ يترك رجل «الإسكيمو» شاربه أو لحيته ينموان؛ لأنَّ بخار تنفسه يتجمد فوقهما، ويتحول إلى ثلج صلب يستحيل إزالته ما لم تُزَل اللحية والشارب نفسهما.

تبادلَتْ «ريما» و«مصباح» و«فهد» نظرةً مندهشةً، وتساءلوا في أنفسهم: «تُرى هل لهذا السبب كان اختيار رقم «صفر» لـ «أحمد» و«عثمان» و«مصباح» و«فهد» ليقوموا بهذه المهمة، لأنَّهم بلا شوارب أو لحية؟»

وقال «مصباح»: يبدو أنَّ لهذه الأماكن قانونها، وعلينا إطاعته بلا مناقشة.

نانو: عاشت قبائل «الإسكيمو» في هذا المكان، لم يكن لنا قانوننا الخاص، بل كان علينا أن نتبع قانون الطبيعة، ونتآلف معه من أجل البقاء أحياء، فمَن يتحدى الطبيعة هنا أو يعاندها لا يعيش طويلًا.

ساد الصمتُ خلال الدقائق التالية، ونشر «أحمد» خرائطه وأخذ يتفحصها، وتأمل المكان حوله، وقال: إنَّنا نسير بسرعة عشرة كيلومترات في الساعة.

إلهام: من العجيب أنَّنا لم نصادف أيَّ إنسان منذ بدء ترحالنا!

أحمد: لقد ودَّعنا آخِر حدود «الإسكيمو»، وهم عادةً لا يحبون التجوُّل في محيط دائرة القطب الشمالي، فيكفيهم ما هم فيه من متاعب.

وفجأةً، شهقت «إلهام» عندما ظهر فجأةً، وعلى مسافة قريبة، دُبٌّ ضخم، كان طوله يزيد على الثلاثة أمتار، ولا يقل وزنه عن نصف طن، وقد ظهر بلون أبيض ناصع، عدا مقدمة أنفه السوداء وعينَيْه الصغيرتَينِ السوداوَينِ.

ابتسم «أحمد» وقال: لا تخشين شيئًا يا «إلهام»؛ فهذا الدُّبُّ يبعد عنَّا ما لا يقل عن خمسة كيلومترات، ولكنَّ السراب يجعلنا نظنُّه قريبًا جدًّا منَّا، إنَّه هنا مَلِك هذه الأصقاع، ولكنَّه لا يهاجم الإنسان إلَّا إذا بادره الإنسان بالهجوم، أو كان جائعًا جدًّا، ووقتها فإنه لا يتورع عن القيام بأي شيء للحصول على الطعام، ولو كان في ذلك الشيء هلاكه، كما أنَّه عادةً لا يتواجد إلا في الأماكن التي تتجمع فيها عجول البحر.

ضحكَتْ «إلهام» قائلةً: إنَّك تبدو كما لو كنتَ تقرأ من كتابٍ عن حياة هذا الدُّبِّ.

أحمد: إن «نانوك» يستحق ذلك فهو مخلوق ماهر جدًّا؛ وعندما يبدأ في مطاردة فريسة له فقد يتتبعها لعدة أيام بصبرٍ لا نهاية له، وضربة واحدة من يده الهائلة ومخالبه كفيلة بقتل عَدُوِّه أيًّا كان حجمه … ومن العجيب أن الدُّب القطبي يُعتبَر من الناحية العلمية من الثدييات البحرية، وباستطاعته أن يسبح خمسمائة ميل مرةً واحدة قبل أن يصيبه الوهن.

راقبَتْ «إلهام» الدُّب الضخم بدهشةٍ وهو يغيب عن بصرها، وتأمَّلَتِ المكان حولها، كان الظلام يُحيط بالمكان، وليس هناك غير أصوات الكلاب وهي تعوي منطلِقةً بأقصى سرعتها، ولم تكن الكلاب بحاجة إلى قيادة، وبدَتْ كأنَّها تعرف وُجهتها جيدًا، وكل زَحَّافة لها قائد من الكلاب يتقدم بقيتها، ويُعتبر مرشدًا لزملائه، وكانت هناك مسافة تصل إلى كيلومتر تفصل بين الزَّحَّافتَينِ، وأغمض «أحمد» عينَيهِ محاولًا التماس الدفء، وسبقه «عثمان» في ذلك، أما «إلهام» فظلَّتْ مستيقظةً؛ كان بداخلها إحساس لا تدري طبيعته، إحساس بأنَّ هناك خطرًا ما يحيط بها ويحوم فوقها.

وراقبَتْ «إلهام» السماء فوقها وهي تتساءل، وقلبها يدق بعنف: «تُرى هل سيظهر لها طبق طائر فجأةً، لقد جاءوا سعيًا خلف تلك الأطباق الطائرة، ولكنَّها حتى الآن تبدو وكأنَّما لا أثر لها، فهل يمكن أنْ تكون الجهات التي رصدَتْ مكان انطلاق تلك الأطباق الطائرة قد أخطأت في تحديد مكانها؟ وهل تسكن هذه الأطباق مكانًا آخَر في العالم؟ أو لعل مخلوقات هذه الأطباق يعيشون في ذلك المكان المقفر الجليدي، بل وربما أيضًا كانوا يراقبون الشياطين انتظارًا لظهورهم في اللحظة المناسبة؟»

وزاد توتُّر «إلهام» بشدةٍ، حتى إنَّها أوشكت على إيقاظ «أحمد» و«عثمان»، كانت حاسَّتها السادسة تعمل بقوة، وإحساسها بالخطر يتزايد ويشتد، وفجأةً ارتجَّتِ الزَّحَّافة بشدةٍ، كأنَّما امتدَّتْ يدٌ رهيبة شديدة القوة وأمسكَتْها من الخلف، فسقطَتِ الكلاب على الأرض وهي تعوي في جنون، وانقلبَتِ الزَّحَّافة وتبعثر ما فيها، وسقطَتْ «إلهام» فوق الجليد، وتدحرجَتْ مُبتعِدةً، وقد ساعد من سرعة سقوطها نعومة الجليد المصقول كالرخام.

وحاولَتْ «إلهام» أن تتشبث بأي شيء وهي تسقط بعيدًا بعيدًا بلا فائدة، وكان هناك شيء يسقط خلفها متدحرِجًا بقوة، وتمنَّتْ «إلهام» لو كان «أحمد» أو «عثمان».

وأخيرًا تشبثَتْ بقوة في نتوء جليديٍّ بارزٍ، واستقرَّ الشيء المتدحرِج على مسافة قريبة منها، وصرخَتْ «إلهام» وهي متعلِّقة بالنتوء الجليدي: أنقِذني يا «أحمد»!

تحرك الشيء المتكوِّر بجوارها في الظلام، وظهر جسمه ضخمًا عملاقًا، وحملقَتْ فيه «إلهام» ذاهلةً، كان دُبًّا من نوع «النانوك»، وكان من الواضح أنَّه هو الذي اعترض الزَّحَّافة فأوقَفَها بقوة، وقلَبَها بحثًا عن صيد.

وزمجرَ الدُّب في توحُّش، واندفع نحو «إلهام» بمخالبه الرهيبة، والجوع القاتل يطلُّ من عينَيهِ.

معركة ... مع دبٍّ «النانوك»!

احتبست أنفاس «إلهام» وهي تشاهد الدُّب الرهيب يتقدَّم نحوها، ولم يكن معها ما تُدافع به عن نفسها، وليسَتْ هناك أية نجدة قريبة، بل لعل بقية الشياطين لا يدرون ما الذي حدث لها.

ولم يكن أمام «إلهام» ما تفعله غير شيء واحد كان سيحملها بعيدًا بعيدًا، ولكن كان فيه الأمل بنجاتها، وتركت «إلهام» نفسها تسقط لأسفل، وتواصل التدحرج فوق الثلج الناعم بسرعة، ولكن الدُّب الجائع ألقى بنفسه خلفها.

وتذكَّرَت «إلهام» قول «أحمد» بأنَّ ذلك الدُّب لا يترك فريسته أبدًا ولو استمر في مطاردتها أيامًا عديدة، ومرةً أخرى تشبَّثَتْ «إلهام» بنتوء ثلجي بارز، وأسرعت تنهض وهي تحسُّ بالآلام في كل جسمها، وكان عليها أن تحاذر من الإصابات لأنَّ الدم الذي سيخرج من جروحها سيتجمد حالما يمسُّ الهواء.

وأسرعَتْ «إلهام» تعْدُو فوق الجليد، واندفع الدُّب القطبي خلفها بخطوات واسعة وهو يطلق زئيرًا عاليًا، وقصرت المسافة بينهما، وأخيرًا لم يَعُد لـ «إلهام» قدرة على العْدُو فوق الجليد الزَّلِق، وتعثَّرَتْ وسقطَتْ فوق الأرض وهي تلهث.

واقترب منها الدُّب وقد أحسَّ بأنَّ فريسته صارت في متناول يدَيهِ، وامتدَّتْ مخالب الدُّب نحو «إلهام» وأطلَّ الموت من عينَيهِ.

ومرةً أخرى، استعادَتْ «إلهام» قوتها وحيويتها، وملأَتْ قبضةَ يدها المغطاة بالفراء بكتلة ثلجية صلبة، وقذفت بها الدُّب في وجهه، وأصابَتْ قذيفة الثلج هدفها بقوة، وعوى الدُّب وتفجَّرت الدماء من أنفه وأصابه الجنون، ومرةً أخرى بدأت المطاردة، «إلهام» تجري والدُّب خلفها.

وكادت «إلهام» تصرخ مستنجدة، ولكن انهارَتْ قواها، ولم تَعُدْ بها قوة حتى على الصراخ، ومرةً أخرى قَصُرت المسافة بين الصياد والطريدة، وأخيرًا قفز الدُّب نحو «إلهام» التي أغمضَتْ عينَيْها، وسقطَتْ فوق الأرض وقد استسلمت لقدرها.

ولكنْ، وقبل أن يَلمسَ الدُّب «إلهام»، شقَّ شيءٌ الهواءَ واستقرَّ في قلبه تمامًا، وسقط الدُّب على الأرض وهو يتلوى قبل أن تسكن حركته ويموت.

ولم تصدِّقْ «إلهام» عينَيْها؛ كان الدُّب راقدًا بجوارها ميتًا، وقد استقرَّتْ سكينٌ ذات نصل طويل في صدره.

وظهر «أحمد» كأنما وُلِدَ من قلب الظلام في اللحظة المناسبة تمامًا، وكانت السكين التي مات بها الدُّب سكينه.

وأخفَتْ «إلهام» وجهها بيدَيْها وأجهشَتْ بالبكاء، فقال لها «أحمد» باسمًا: لا دموع هنا وإلا فسوف تتحول إلى قطرات جليدية في عينَيْكِ.

نظرت «إلهام» إلى «أحمد» بشكر عميق، كانت لا تدري كيف تُعبِّرُ عن مشاعرها نحوه؛ إنه دائمًا يظهر في اللحظة المناسبة لإنقاذها، كأنَّه ملاكها الحارس.

قال «أحمد» بعد أن انقلبت الزَّحَّافة: شاهدتكِ تسقُطِينَ بعيدًا، ولمحتُ فوق الجليد آثار أقدام دُب ضخم، ففهمتُ وأسرعتُ خلفَكِ.

وظهر بقية الشياطين و«نانو»، وعندما شاهدوا الدُّب القتيل فهموا ما حدث، وقال «عثمان» متعجبًا: لقد قام هذا الدُّب بمطاردتنا عشرات الكيلومترات منذ أن لمحنا ظُهرًا، ولا بد أنَّه اتخذ طريقًا مختصرًا للوصول إلينا.

نانو: هذه هي عادة الدببة هنا، ولحسن الحظِّ؛ فقد حصلنا على وجبة لحمٍ ضخمةٍ بلا مشقة.

صاحَتْ «إلهام» محتجةً: ماذا؟ هل تريدنا أن نأكل من لحم هذا الدُّب المتوحش؟

نانو: هذا هو قانون الحياة هنا، إما أن تأكلي أو أن تكوني أنتِ الفريسة.

قال «أحمد»: «نانو» على حق، فلنحمل هذا الدُّب ليكون طعامًا للكلاب على الأقل.

وتعاونوا جميعًا في جرِّ الدُّب القتيل، وما أن لمحَتْه الكلاب حتى أصابها السعار، ولم تنتظر قيام «نانو» بسَلْخِه، بل قامَتْ بالمهمة خير قيام، ولم تترك من الدُّب غير هيكله العظمي، ثم ارتمَتْ فوق الجليد في كسل.

قال «نانو»: لقد أُتْخِمَتِ الكلاب بالطعام، ولن نستطيع العَدْو، وأرى أن نقضي ليلتنا في هذا المكان، فلننصب الخيام.

وتعاونوا جميعًا في نصب خيمة كبيرة أشعلوا فيها قليلًا من النار وقد التفوا حولها.

وأتى «نانو» بوعاء به بعضٌ من زيتِ شحمِ عجلِ البحر، وأشعل النار في بعض طحالب الرنة الجافة المغموسة في زيت عجل البحر، فصارَتْ مثل شمعة لطيفة.

وفجأةً، ارتجفَتِ الخيمة الكبيرة، وبدا كأنَّها موشكة على التمزُّق، فقال «نانو» في قلق: إنَّ هناك عاصفة في الطريق.

وألقى نظرةً إلى الأفق المعتم بلون كالحٍ، وقال: إنَّها عاصفةٌ قويةٌ ستقتلع كل شيء من مكانه ما لم نحتمِ منها.

أحمد: فلنبحث عن مكان نلتجئ إليه.

نانو: لن نجد مكانًا يأوينا هنا، فلنسرع ببناء بيت ثلجي.

ترامق الشياطين في دهشة، فلم تكن لهم أي خبرة في بناء البيوت الثلجية، ولكنَّ «نانو» اندفع إلى الخارج، وبِسِكِّينِه رسم دائرةً واسعةً فوق الجليد، واندفع نحو كتلة جليدية بارزة، وأخذ ينحت فيها بسِكِّينِه حتى فصل كتلةً جليديةً مستطيلة الشكل، مستوية الحواف، ووضعها فوق أحد أركان الدائرة، وأسرع يقتطع غيرها ويرصُّها بجوارها، فتلتصق بالأولى بلا مشقة.

واندفع الشياطين يساعدون «نانو»، وفي دقائق اكتمل بناء البيت الثلجي، في الوقت الذي تحولت فيه الرياح إلى عاصفة رهيبة.

وأسرع الشياطين ينقلون أشياءهم إلى داخل البيت الثلجي حتى لا تطيح بها العاصفة، ثم اندفعوا بسرعة إلى داخل البيت الجليدي عَبْر نفق صغير يؤدي إليه، ويمثل طريق الدخول والخروج الوحيد له.

وتساءلت «إلهام» بقلق شديد: هل ستترك الكلاب تواجه العاصفة في الخارج؟ سوف تموت من الصقيع.

نانو: لا تخشين شيئًا على الكلاب؛ فإنها تعرف كيف تحمي نفسها بالغريزة.

وأعاد «نانو» إيقاد النار داخل البيت الثلجي وهو يقول: إنَّ هذا المنزل الثلجي — في العادة — أدفأ كثيرًا من الطقس بالخارج؛ لأنَّ جدرانه تعمل كعازل ضد البرودة في الخارج، وعندما يخرج رجل «الإسكيمو» للصيد في الشتاء، فإنَّه يلجأ إلى صُنع مثل هذه البيوت الثلجية ليحتمي فيها من العاصفة، وعليه أن يكون ماهرًا أو سريعًا في تشييدها، وإلَّا أطاحت به العاصفة قبل إتمام بنائه.

واشتد صوت العاصفة في الخارج، وتعالى عُواء الكلاب بشدة قبل أن تسكن تمامًا ويخفت صوتها، وانقضت ساعات قبل أن تسكن العاصفة ويعود السكون، وفتحت «إلهام»

عينَيْها؛ كان النوم قد استغرقها أثناء العاصفة، فقد كانت مُتعَبة بشدة بعد مطاردة الدُّب لها، وكان الباقون نائِمينَ أيضًا.

وأزاحت «إلهام» اللوح الذي يسد نفق البيت الجليدي، وزحفَتْ خارجًا، كان نور الصباح الشاحب ينير السماء بلون غامض ساحر، وكانت الزَّحَّافتان أمام البيت في مكانهما، ولكنَّهما كان يعلوهما الثلج والجليد.

وألقَتْ «إلهام» نظرةً إلى كلاب الزَّحَّافتَينِ، فشاهدتهم وقد ارتصوا جميعًا في شكل دائرة، رءوسهم للداخل، وبقية أجسامهم للخارج، ملتمِسِينَ الدفء من تواجُدِهم بجوار بعضهم، وتنفُّسِهم الدافئ، على حين كان شعرهم الطويل يُشكِّل أفضل حماية لهم من البرد والصقيع.

تبلَّلَتْ عَيْنَا «إلهام» بالدموع، ورفعَتْ بصرها إلى السماء، كأنها تُسبِّح بقوة الخالق العظيم الذي بثَّ الغريزة في نفوس أقل المخلوقات شأنًا، وزوَّدَها بما يتيح لها البقاء في أقسى الظروف قسوةً.

ونهض الباقون من نومهم. واستعادت الكلاب نشاطها، وبعد وجبة خفيفة بدأت الزَّحَّافتان في الانطلاق مرة أخرى، بعد أن عُبِّئَتْ بأشياء الشياطين.

وأشرقت الشمس، ثم غابت بدون أن يدفأ الجو أبدًا، فبسبب ميل الأرض جهة القطبَينِ؛ فإن الشمس تشرق عليهما في اتجاه مائل، فتصل أشعتها ضعيفة واهية، بعكس ما يحدث بالقرب من خط الاستواء عندما تكون الشمس عمودية على الأرض، فتصل أشعتها إليها عمودية حامية قاسية.

وبعد قليل، بدأت تلمع في الأفق أضواء غريبة، مزيج من الأضواء ذات ألوان وردية وصفراء وخضراء، كأنَّما سكبَتْ تلك الألوان في صفحة السماء بكميات هائلة، فأحالت سوادها إلى ألوان ملتمعة بهيجة غريبة.

قال «نانو» شارحًا: هذه هي أضواء الشفق القطبية، المسماة «أورورا استراليس» وهو ناتج عن تفريغ كهربي من عدد لا نهائي من دقائق الثلج التي يحتويها الجو، فيتحول لونها إلى هذا المزيج الرائع من الألوان.

وبدأت أضواء الشفق تخفت تدريجيًّا، حتى أظلمت السماء تمامًا، وبعد راحة قصيرة تناولت خلالها الكلاب طعام الغذاء ما تبقى من ثور المسك، عاودت جرَّها للزَّحَّافتَينِ.

وأخيرًا أوقف «نانو» الزَّحَّافتَينِ، واختار بقعةً يحميها جبل جليدي ليصد عنهم العواصف، وبدأ في بناء بيت جليدي، وأظهر الشياطين مهارةً أكثر من المرة السابقة في بنائه، فقال «نانو» ضاحكًا: إنكم تتقدمون سريعًا.

وبعد وجبة خفيفة استلقوا فوق فراء الثعالب بداخل البيت الجليدي ... وكعادة «إلهام» فقد كانت أول مَن استيقظ في صباح اليوم التالي، وكانت تحسُّ ببهجة ونشاط غير عاديَّيْنِ.

وزحفَتْ خارجةً من نفق البيت الثلجي، وما إن وقع بصرها على المشهد الرهيب أمامها حتى صرخَتْ في فزع.

فلم تكن لكلاب الهسكي أي أثر في مكانها فوق الجليد، وإنَّما كانت هناك بقايا سوداء لرماد محترق لها، كأنما تعرَّضَتِ الكلاب لأشعة حارقة هائلة، قضَتْ عليها، وحوَّلَتْها إلى رماد في غمضة عين.

عاصفة ... وموت!

اندفع الشياطين خارِجِينَ من البيت الجليدي على صياح «إلهام»، واندفع «نانو» خلفهم، ووقف الجميع يُحدِّقُون في ذهولٍ في الرماد المُحترِق.

وتلاقت أنظار الشياطين، وقد استنتجوا ما حدث، الأطباق الطائرة!

وهتف «نانو» في فزع: كلابي! ماذا حدث لها؟ لا يمكن أن تكون صاعقة قد أصابتها وأحرقتها، فحتى الصواعق لا تحوِّل الأشياء إلى رماد، هذا مستحيل! إنني لا أكاد أصدق عيني!

أحمد: سوف نعوِّضك عن فقد كلابك، سنُعطيك من المال ما تشتري به أفضل منها.

قال «نانو» ذاهلًا: أنتم لا تفهمون حقيقة الأمر، المسألة ليست في المال، فبدون الكلاب التي تجر الزَّحَّافات فلن نستطيع التحرُّك بعيدًا، إنَّنا أشبه بمَن وقع في مصيدة جليدية، سوف نموت من البرد والصقيع، إننا حتى لا نملك جهازًا لا سلكيًّا نطلب به النجدة.

ترامقَ الشياطين في قلق، كان «نانو» على حق، وطرأَتْ فكرةٌ في ذهن «ريما»، فقالت له: «نانو» ... إنَّك تستطيع أن تأخذنا إلى أقرب محطة جوية، فهل تبعد كثيرًا؟

نانو: حوالي ثلاثين كيلومترًا، وسيستغرق وصولنا إليها ليس أقل من أسبوع، هذا إذا لم تهب العواصف فتؤخرنا، إن بعض العواصف يستمر هبوبها أسابيع كاملة ويستحيل التحرُّك فيها.

أحمد: سوف نعتمد على حظِّنا الحَسَن في ذلك.

رمق «نانو» الشياطين في دهشة وشَكٍّ، وقال: إنَّكم تبدون متمالِكِينَ لأعصابكم بصورة تدعو للدهشة! كأنَّ ما حدث لا يدهشكم، أو كأنَّكم تتوقعونه.

عثمان: إنها مجرد صاعقة أصابَتِ الكلاب لسوء حظها.

نانو: ليس هذا صحيحًا؛ إنَّ الصواعق لا تحدث هكذا، ولو كانت مُجرَّد صاعقة لأحدثَتِ انهيارًا جليديًّا في المكان، وما نجونا منه، إنَّ المسألة تبدو لي كما لو كانت …

وصمت «نانو» ولم يُكمِل، وهو يحدق في الشياطين بعينَيِن كلهما ريبة، وسأله «أحمد»: كما لو كانت ماذا؟

– لا شيء.

وجمدت ملامح «نانو» وأكمل: سوف أقوم بتوصيلكم إلى أقرب محطة أرصاد جوية، وبعدها سأترككم وأعود إلى وطني، ولا أريد منكم أيَّ مال.

وحمل «نانو» متاعه القليل وسار في المقدمة، ووضع الشياطين أشياءهم على الزَّحَّافتَيِن وساروا وهم يجرونهما خلف «نانو».

وكانت عقول الشياطين تبدو مشحونة بمئات الأفكار والتساؤلات، وهمسَتْ «إلهام» لـ «أحمد»: إن «نانو» على حق؛ إنَّها ليست صاعقة تلك التي قضَتْ على الكلاب.

أحمد: أظنُّ ذلك، ليس هناك غير احتمال وحيد، طلقات إشعاعية من الأطباق الطائرة، فهي التي يمكن أنْ تحوِّل الكلاب إلى رمادٍ مُحترِقٍ بهذه الصورة.

إلهام: ولكن لماذا هاجمت الأطباق الطائرة الكلاب وأحرقتها؟

أحمد: لا شك أنَّ وجود زحَّافتَيِن بكلابهما في هذا المكان المُقفر الذي لا يخاطر بالسير فيه إنسان، لا شك أنَّ ذلك استلفتَ انتباه الأطباق الطائرة فهاجمَتِ الكلاب.

إلهام: لو كان ذلك صحيحًا لهاجمتنا الأطباق الطائرة ونحن نيام في الكوخ الجليدي، ولأحرقتنا في غمضة عين، فلماذا هاجمت الكلاب ولم تُهاجمنا نحن؟

أحمد: لعلهم كانوا متأكِّدِينَ من استحالة بقائنا أحياءً بعد موت الكلاب.

ظهر القلق في عينَيْ «إلهام» وقالَتْ في بطءٍ: هل … هل تظنُّ أنَّ هذه الأطباق الطائرة اكتشفَتْ حقيقة مهمتنا؟

– مَن يدري؟! إنَّ هجومهم المفاجئ على الكلاب يضع أمامنا تساؤلات عديدة لا يملك أحدٌ إجابتها.

– و«نانو» … هل تظنُّ أنَّه يشك في حقيقتنا؟

– أظنُّ ذلك، إنَّ رد فعله يؤكد ذلك، خاصةً وهو ينوي تركنا عند أقرب محطة أرصاد جوية.

ولمَعَتْ عينا «أحمد» وقال: يبدو أنَّنا أخطأنا؛ كان يجب علينا منذ البداية إخبار «نانو» بمهمتنا، فربما اتخذ مزيدًا من الاحتياطات، وما كنَّا قد وقعنا في هذا المأزق.

إلهام: أشك في أنَّه كان سيوافق على مرافقتنا لو علم حقيقة مهمتنا منذ البداية، فهو برغم شجاعته يبدو الآن خائفًا.

أحمد: سأحاول أن أتناقش معه وأكتشف ما يفكر فيه.

واقترب «أحمد» من «نانو»، فتطلَّع إليه «نانو» بعينَينِ متجهمتَينِ غاضبتَينِ، وقال بصوت بارد: لقد خدعتموني، إنكم لستم علماء للأرصاد الجوية.

أحمد: هذا حقيقي، ولا بد أنَّك قد اهتديتَ إلى مهمتنا الحقيقية.

– لقد دلَّني ما حدث للكلاب على الحقيقة، كان من الممكن أن نتحول إلى رماد مُحترِق نحن أيضًا، لقد حدث هذا للكثيرِينَ.

قال «أحمد» بدهشة: ماذا تقول؟

تطلَّع «نانو» إلى السماء الملبدة بالغيوم وقال: إنَّهم لا يحبون مَن يسعى في مطاردتهم، وهناك الكثيرون من رجال «الإسكيمو» الشجعان حاولوا تقفِّي أثَر هذه الأطباق الطائرة ومعرفة مكانها، ولكنَّهم ذهبوا جميعًا بلا عودة، ولم يَعُد منهم أحدٌ، لقد عاد أجدادنا، ولكنهم هذه المرة يبدون مشغولِينَ عنَّا ولا يُرحِّبون بتطفُّلنا.

أحمد: إنَّ هذا يُفسر سرَّ تلك الأغنية التي سمعتُ الأطفال يترنمون بها بجوار المعسكر، إذن فأنتم تعرفون بأمر هذه الأطباق الطائرة؟

نانو: لقد شاهدناها كثيرًا، خاصة في الليالي الصافية، وفي أيام كثيرة كانوا يلقون إلينا بصناديق الطعام والحلوى والملابس الجديدة، ولكنَّهم لا يحبون محاولة الاتصال بهم على الإطلاق.

وساد صمتٌ طويل، و«أحمد» يفكر مندهشًا فيما قاله «نانو»: «إذن، فتلك الأطباق الطائرة تتخذ لها من القطب الشمالي مقرًّا، وتُسقِط الهدايا والأطعمة لسكان المكان من قبائل «الإسكيمو»، ولكنَّها لا تحاول الاتصال بهم، أو عقد أي نوع من الصداقة، تُرى لماذا؟

وتطلع «نانو» إلى السماء بقلقٍ، وقال: إنَّ هناك عاصفة في الطريق؛ فالسماء قد بدأَتْ تمتلئ بنتف الثلج والجليد، علينا أن نسرع في سيرنا للاحتماء بأقرب جبل جليدي.

وأشار «أحمد» للشياطين، واندفعوا جميعًا بسرعةٍ باتجاه جبل جليدي قريب، ومن الخلف جاءهم صوت هائل يُدَوِّي عاليًا، ثم بدأت العاصفة تهبُ كوحشٍ كاسرٍ.

وصاح «أحمد» في الباقِينَ: لن نستطيع الوصول إلى الجبل، فلنُسرعْ ببناء بيت جليدي.

صاح «نانو»: لن يتسع الوقت لذلك.

أحمد: فلنحاول، فليسَتْ أمامنا فرصة غير ذلك.

واندفع الشياطين بسكاكينهم يُقطعون ألواح الثلج، ويحاولون رصَّها في شكل دائري لصنع البيت الجليدي، ولكنَّ العاصفة لم تُمهِلْهم.

واندفعَتِ الرياح بسرعة هائلة وهي تسوق كرات ثلج صغيرة، وتُطلقها مثل طلقات الرَّصاص لتصطدم بالشياطين، وسقطَتْ «ريما» من شدة الرياح وتدحرجت بعيدًا، فأسرع «عثمان» يُلقي بنفسه خلفها محاولًا الإمساك بها، وصاح «أحمد» بأعلى صوته: تماسكوا جميعًا لنصمدَ في وجه العاصفة.

ولكنَّ صوته ضاع وسط زفير العاصفة الجنوني، وتعذَّرَت الرؤية، حتى إنَّ أحدًا من الشياطين لم يكن قادرًا على رؤية يده، أو حتى على فتح عينَيهِ.

وسمع «أحمد» صراخًا خافتًا مختلِطًا بعويل الرياح، وكان الصوتُ أقرب إلى صوت «إلهام»، واندفع «أحمد» في جنون صائحًا: «إلهام» أين أنتِ؟

ولكنَّه لم يرْ شيئًا، واندفعَتِ الرياح القارسة البرودة إلى عينَيهِ، فلم يحتملها «أحمد» وأغمض عينَيهِ، وتحرَّك زاحفًا فوق يدَيهِ وقدمَيهِ باحثًا عن «إلهام»، ولكنَّه لم يستطع حتى التماسُك، ودفعته الرياح بعنف، فتدحرج بقوة فوق الجليد، وأحسَّ بنفسه يتهاوى ويتهاوى.

وتشبَّث أخيرًا بنتوء جليدي بارز، واحتمى خلفه. ومضى الوقت بطيئًا قاتلًا، وقتٌ لم يشهد الشياطين مثله من قبلُ، وطقسٌ لم يجابهوا ضراوته من قبلُ أبدًا، مئاتٌ من المجرِمِينَ واجهوهم من قبل، وعشراتٌ من العصابات هزموها بعد مواجهات ومعارك عنيفة، ولكن ها هي الطبيعة تُثبت أنَّها الأقوى، أقوى من أيِّ إنسان، ولو كان من الشياطين أنفسهم.

وأخيرًا خَفَّت العاصفة وهدأت، ونهض «أحمد» واندفع نحو مكان الشياطين.

كان «عثمان» و«ريما» راقدَينِ على الأرض، وقد تماسكا بقوة وغطتهما الثلوج، فأسرع «أحمد» يساعدهما على النهوض، واندفعوا ثلاثتهم يبحثون عن الباقِينَ، وكان «مصباح» و«فهد» قد دُفنا في الثلج، ولم يظهر منهما غيرُ رأسَيْهما؛ فاندفع «عثمان» و«أحمد» يخرجانهما من مكانهما ويدفئان أيديهما.

بينما لم يكن هناك أي أثر لـ «إلهام» أو «نانو».

تطلَّع «أحمد» حوله في قلق شديد، واندفع يجري فوق الجليد بكل اتجاه، وعلى مسافة بعيدة شاهد شيئًا يشبه غطاء الفراء الذي كانت ترتديه «إلهام»، وأسرع «أحمد» نحو الغطاء فشاهد «إلهام» راقدةً بداخل الجليد الذي غطاها، ولم يظهر منها غيرُ رأسها، فأزاح الجليد عنها، وأسرعت «ريما» تدعك أيدي «إلهام» ووجهها محاولة دفع الحرارة إليها.

وأخيرًا تحرَّكَتْ «إلهام» وفتحَتْ عينَيْها، وتنفس الشياطين في ارتياح، وهمس «أحمد»: الحمد لله.

واغرورقَتْ عيناه بالدموع، فقالت «إلهام» بوجه شاحبٍ: لا مكان للدموع هنا. هل نسيتَ؟

ابتسم «أحمد» وقال: لنبحث عن «نانو»، فلا بد أنَّ العاصفة لم تجرِفْه بعيدًا، فهو أكثر منا خبرة.

واندفع الشياطين يبحثون عن «نانو» بلا فائدة ... حتى الزَّحَّافتان وأشياء الشياطين لم يكن لها أي أثر، تساءل «أحمد» بقلق: هذا غريب! أين ذهبَتِ الزَّحَّافتان وأشياؤنا، وكذلك «نانو»؟

عثمان: لعل الجليد غطَّاهم.

أحمد: لو كان ذلك صحيحًا لعثرنا على أثر لهم.

صاح «فهد» من بعيد: انظروا هناك!

واندفع الشياطين حيث أشار «فهد» لاهِثِينَ، وأمام عيونهم ظهرَتْ فردةُ حذاء «نانو» المصنوعة من جلد عجل البحر. وكان بجوار فردة الحذاء بقعة محترقة من الرماد.

وجهًا لوجه ... مع الأطباق الطائرة!

وقف الشياطين في صمتٍ وحزنٍ ينظرون إلى بقعة الرماد، وكان الأسى الشديد واضحًا في عيونهم، وتناول «مصباح» فردة الحذاء ونظر إليها طويلًا، ثم قال: يبدو أن «نانو» لاقى نفس مصير كلابه.

فهد: ونفس مصير كل مَن يحاول تتبُّع هذه الأطباق الطائرة.

أحمد: إنَّني أحس بلوم ومرارة شديدَينِ، وأحسب نفسي مسئولًا عما جرى لـ «نانو»؛ كان من الواجب إخباره عن طبيعة مهمتنا.

صاح «عثمان» في غضب: أقسم لأنْ أُذيق هؤلاء الفضائيِّينَ من الألم الكثير لكل ما فعلوه من شرور.

إلهام: وبأي شيء سوف تذيقهم الألم يا «عثمان»؟ بكُرَتك المطاطية بطة، إنَّنا حتى لم نَعُد نملك شيئًا ندافع به عن أنفسنا، فقد ضاعت مع بقية الأشياء في الزَّحَّافتَينِ.

تساءل «أحمد»: وأين تظنُّون قد اختفَتِ الزَّحَّافتان؟

أجابت «ريما»: مَن يدري؟! لعل الأطباق الطائرة استولت عليها أثناء العاصفة بدون أن نراها أو نشعر بها، ويبدو أنَّ «نانو» كان الوحيد الذي شاهدها خلال العاصفة، وكان في ذلك نهايته.

ضاقت عينا «إلهام» وقالت: لا أظنُّ ذلك، إنَّ هذه الأطباق الطائرة بمخلوقاتها تبدو كما لو كانت تلاعبنا لعبة القط والفار؛ أولًا قتلَتِ الكلاب حتى تعيق حركتنا، وثانيًا تخلَّصَت من «نانو» حتى لا نجد مَن يرشدنا إلى أيِّ اتجاه.

أحمد: معنى ذلك أنَّهم يعرفون مهمتنا؟

إلهام: هذا أمر لا ريب فيه، وبلا شك أيضًا فهم يريدون موتنا ولكن ببطءٍ، ولعل ذلك سيمنعهم أكثر من أنْ يطلقوا علينا طلقاتهم الإشعاعية، فالجليد والصقيع والجوع سيتكفلون بالقضاء علينا ببطءٍ وألمٍ لا حدَّ له.

صاح «عثمان» في غضب: هذا جنون، كان من الواجب ألَّا نفقد اتصالنا برقم «صفر» حتى يرسل إلينا نجدةً وسلاحًا.

أحمد: إنَّنا في مأزق بالفعل، وعلينا أنْ نفكر في هدوءٍ، إنَّ أفضل ما نفعله الآن هو مواصلة رحلتنا إلى أقرب نقطة أرصاد جوية، ومحاولة الاتصال برقم «صفر» من هناك لإبلاغه بما حدث.

إلهام: وكيف سنصل إلى هذه المحطة؟ إنَّنا لا نملك حتى خرائط ترشدنا إليها، فقد كانت كلها موضوعة بالزَّحَّافتَين.

أحمد: إنَّ لدي خريطة صغيرة حملتها معي احتياطيًّا.

وأخرج «أحمد» من جيبه خريطةً صغيرةً، فَرَدَها وأخذ يتأمل تفاصيلها، ثم أشار إلى نقطة بأعلاها وقال: ستكون هذه المحطة هي وجهتنا، فهي أقرب المحطات إلينا، إنها تبعد مسافة خمسة وعشرين كيلومترًا جهة الشمال، وعلينا أن نصل إليها مهما كانت المشقة في ذلك، وسوف نحدد اتجاه الشمال بواسطة نجوم السماء. هيا بنا.

وفي صمتٍ بدأ الشياطين الستة رحلتهم البطيئة، وساروا بخطوات متعثرة وسط الجليد الصلب الذي كان يتطلب مزيدًا من الحذر للسير فوقه.

وارتجفت «ريما» وهي تقول: إنَّني أشعر كأنني سأتجمد.

إلهام: عليكِ بمواصلة السير؛ فالتوقُّف يعني الموت من البرد.

وهمست «ريما» إلى «إلهام» في قلق شديد: هل تظنين أنهم سيتركوننا نصل سالِمِينَ إلى محطة الأرصاد؟ إنَّني أعني هذه الأطباق الطائرة ومخلوقاتهم المتوحشة.

إلهام: سنحاول الوصول إلى هناك مَهْمَا كان الثمن.

ريما: هل ... هل تظنين أنَّهم يراقبوننا الآن؟

تطلَّعَتْ «إلهام» إلى السماء المُلبَّدة بالغيوم الثقيلة، وقالت: مَن يدري؟! لعل لهم عيونًا خفيَّة ترصدنا بدون أن نراهم. ولكنَّنا لن نستسلم أبدًا حتى لو اضطُررنا للدفاع عن أنفسنا بأيدينا العارية، إنَّ الشياطين لا يعرفون اليأس أبدًا.

وانقضى وقتٌ، وأظلمَتِ السماء قبل أن ترتمي «ريما» على الأرض من شدة الإعياء وهي تقول: إنَّني أحسُّ ببرد قاتلٍ، وبجوعٍ شديدٍ أيضًا.

أحمد: سنتوقف هنا قليلًا للحصول على بعض الراحة والطعام.

تساءل «عثمان»: ومن أين سنأتي بالطعام؟

أحمد: سنقوم بالصيد كما كان يفعل «نانو».

وأخرج سكينًا صغيرة كان يخفيها حول ساقه، وقال: إنَّ الأسلحة الاحتياطية تفيد دائمًا.

فهد: هل تعتقد أنَّك ستصيد دبًّا بهذه السكين الصغير؟

ابتسم «أحمد» وقال: بل يمكنني أن أصيد بها حوتًا لو أردْتَ، سأحاول أن أصيد أحد ثيران المسك، وعليكم بالبحث عن أية أعشاب نابتة أو شجيرات صغيرة لتكون وقودًا نطهو بها صيدنا.

عثمان: سآتي معك لصيد الثور.

فهد: وأنا سأبحث عن أية أعشاب أو شجيرات.

مصباح: وأنا سأبقى مع «إلهام» و«ريما» للدفاع عنهم إذا تعرضوا للخطر.

تحرك «أحمد» و«عثمان»، وأشار «أحمد» إلى نقطة سوداء بعيدة، وقال: يبدو أنَّ هذه النقطة هي ثورٌ بعيدٌ، سنكون حَسَنِي الحظِّ لو تمكنَّا من اصطياده وسط هذا الظلام.

واندفع الاثنان باتجاه الثور، وفجأة توقفا كالمشلولِينَ عندما وصلَتْ إلى آذانهما الصرخة العالية التي انبعثَتْ من الخلف.

والتفت «أحمد» و«عثمان» للوراء في اللحظة التي انبعث في السماء وهج برتقالي لامع يكاد يعمي الأبصار، وتحرَّك شيء في السماء هابطًا نحو الأرض بسرعةٍ مُطلِقًا أنواره الساطعة، ثم تبعه قرص دائري آخَر، فثالث ...

وصاح «أحمد»: إنها الأطباق الطائرة، إنَّ بقية الشياطين في خطر.

عثمان: لنسرع بالعودة.

واندفع الاثنان عائدَينِ بأقصى سرعتهما، ولكن لم يكن هناك أي أثر لـ «إلهام» أو «ريما» أو «مصباح» أو «فهد».

وكانت الأطباق الثلاثة راقدةً فوق الأرض، وقد خرج منها مخلوقات قصيرة لا يزيد طول كل منها على متر واحد بوجوه ذات ملامح مُفزِعة؛ عينان واسعتان، وأنف كبير، وفم صغير، وكانت جلودهم خضراء قبيحة الشكل، ورؤسهم ضخمة بلا شعرة واحدة، وهم يحملون مسدسات إشعاعية مصوبة نحو الشياطين.

قال «عثمان» مذهولًا: يبدو أنَّهم قبضوا على بقية الشياطين.

أحمد: لا جدوى من المقاومة أمام تلك الأسلحة الإشعاعية الرهيبة، إنَّ الاستسلام يعطينا فرصة أفضل.

وأحاطت المخلوقات القصيرة بـ «أحمد» و«عثمان» من كل جانب، وفي صمت وهدوء اتجه الشيطانان نحو أحد الأطباق الطائرة الذي حملهما في جوفه، ثم اندفع يشق الفضاء بسرعة كبيرة.

هنـــداوي